﴿ ابن تيمية ولوثر ﴾

جاء مايأتي في مجلة (شورا) التتارية من عدة اشهر تحت هذا العنوان

ان في شروعنا بكتابة مقالة قارنا فيها بين اسم عالم نصراني واسم عالم مسلم لسببا . واذا عرف السبب ، لايبقى محل العجب . كان ظهر في مملكة المانية راهب اسمه لوثر وقد بعد مائة وخمس وخمسين سنة تقريبا من وفاة ابن تيمية وشرع في اصلاح النصرانية وارجاعها الى بساطتها الاولى وحفظها من البدع والخرافات . وذلك الرجل هو رئيس المذهب المشهور اليوم بمذهب لوثر او البروتستانت .

أتم لوثر باجتهاده وغيرته المشروع الذي قصده ورأى بعينه ثمرة تعبه وكون خدمته مرعية الجانب بين الناس . وان قسما عظيما من النصارى ينتسبون الى مذهب لوثر اليوم وهم البروتستانت

كان علماء اليهود الذين أسلموا يكثرون من رواية الاسرائيليات وعشاق الخرافات والمبالغات من العجم لم يتركوا بعد اسلامهم المبالغات والخرافات التي تربوا عليها ، فلهذا او ذاك كثرت البدع في الاسلام وانتشر بين الناس كثير من العادات باسم الدين . وقد ظهر في عالم الاسلام كثير من المجاهدين والمصلحين جاهدوا في سبيل ازالة البدع ، واحياء سنن رسول الله (ص) جهادا كبيرا واجتهدوا في ارجاع الاسلام الى صفوته الاولى في زمن السلف ، وازالة التفرقة من بين المسلمين وجمعهم على اعتقاد واحد وعلى صراط مستقيم . وكان ابن تيمية من كبار هؤلاء المجاهدين .

لاتوجد مناسبة بين ابن تيمية ولوثر في المذهب والدين ، ولا في القوم والقبيلة ، ولا في المكان والزمان . ولكن توجد مشابهة بينهما في المقصد والمسلك فقد كان ابن تيمة يجتهد في حفظ الاسلام من البدع والخرافات . كما ان لوثر كان يشتغل باصلاح النصرانية . ولكن لامشابهة بينهما في احتمال المشقات في حال من الاحوال . حقا أن لوثر صادف في سبيل اصلاح النصرانية . بعض الصعوبات . ولكن ماناله حرى أن يحسب حظا وسعادة بالنسبة الى ماتحمله ابن تيمية من المشقات . علا لوثر على أعدائه وغلب عليهم في العاقبة ، أما ابن تيمية فقد توفي تحت قهر أعدائه .

اذا صح القياس والنسبة بين هذين الرجلين في العلم والكمال او لم يصح فهو

لا شك يصح في العلوم المتعلقة بالديانة النصرانية وحدها ، وأما في العلوم الاخرى فالفرق بينهما « بناء على شهادة أربابه » كالفرق بين السماء والارض ، بل لا يعد لوثر نظيرا لابن تيمية في العلوم المتعلقة بالديانة النصرانية نفسها ، ويدل على ذلك استدلال العلماء من النصارى على كون انجيل برنابا موضوعا ومصنوعا من طرف الاعداء بعدم ذكر ابن تيمية لذلك الانجيل (١)

لو كان لوثر أكثر علماء النصارى وثوقا في العلوم المتعلقة بالنصرانية بالنسبة لابن تيمية لاستشهد العلماء في هذه المادة بقول لوثر بدل ابن تيمية ، فاذا كان ابن تيمية لم يذكر انجيل برنابا فكذلك لم يذكره لوثر . ولو كان انجيل برنابا معروفا عند لوثر لكان اقامه عدة وآلة قوية امام اعدائه من الكاثوليك .

كان ابن تيمية ينهى الناس عن الاستمداد من الموتى وزيارة قبور الاولياء بقصد تعظيمهم وجعلهم عند الله يدعون وتطلب منهم الحاجات وعن ذبح النذور عند القبور وكذلك اجتهد في حماية الاسلام من تجاوز الفلاسفة وكتب في ذلك كتبا عديدة وتباحث مع الشيعة والروافض (ورد على الجميع في كتب حافلة) وكان يدعو الناس الى سنة رسول الله (ص) ولكن اهل زمانه ما عرفوا قيمة تلك الخدمة الجليلة منه في الاسلام بل بهتوه بالباطل وافتروا عليه الكذب ، فبتلك البلايا والمحن خرج ابن تيمية من الدنيا . كان لوثر يجيب أعداءه بعبارات شديدة حتى استعمل في بعض الاوقات ألفاظا مغايرة للادب وأما ابن تيمية فكان يتغافل عن اذى اعدائه ويحتمله ويظهر لهم الترفع عن السفاسف وكان لا يخاصم أحداً في خاصة نفسه . فلأي سبب لم يتيسر لابن تيمية اجتناء ثمرة جهاده والحال ان لوثر وفق لذلك وما هو السبب الظاهر في ذلك ؟

الافكار مختلفة في جواب تلك المسألة كل أحد يفكر في ذلك على قدر ما يصل اليه فكره ويعرض له من السبب ونحن بصرف النظر عن التفاصيل نجمل تلك الافكار المختلفة واحدا بعد واحداً تحت الارقام هكذا :

١) كان بناء سعي لوثر في أمره على أساس متين فانه عرض مشروعه أولا على

(المنار) : انما استدلوا بعدم ذكر ابن تيمية له في رده على النصارى على انه ليس من وضع المسلمين وكذا بعدم ذكر ابن حزم له وهذان العالمان كانا أوسع علماء الاسلام اطلاعا فلو كان هذا الانجيل من وضع المسلمين لوجد عندهم ولاستدل به هذان على التوحيد وعدم صلب عيسى ونبوة محمد عليهما السلام

الملوك والامراء حتى وفق لاستمالتهم اليه وبعد ذلك تمايلت الافكار اليه من نفسها . وأما ابن تيمية فهو لم يتقرب من الملوك والامراء ولم يبال بعداوتهم ولا بصداقتهم ولا داراهم ولم يهتم بالتفاتهم قط واعداؤه افترصوا منه تلك الحالة وسعوا به لدى السلاطين والامراء حتى قام عليه العلماء والامراء بالاتفاق واحدثوا له اشكالا من المصائب .

٢) المطبوعات والمطابع، كان لوتر ينشر أفكاره بالمطابع ويطلع الناس عليها قبل مضي الشهر وينتقدونها اذا كان هناك محل للانتقاد او يصوبونها . أما ابن تيمية فلما لم توجد صنعة الطباعة في زمنه لم يطلع على افكاره الا أفراد قلائل وكثير من افكاره حرف قصدا من طرف اعدائه وبذلك كانت الحقيقة تبقى في طي الخفاء

٣) الاحوال المتعلقة بذات لوتر أو ابن تيمية ليست سببا في ذلك بل السبب الحقيقي الطبائع والاحوال الروحية التي وجدت مع الخلق (روح العصر) لان لوتر ظهر بين الاوربيين المستعدين الذين يفهمون الكلام ويعرفون قيمة العالم والعلم والحال ان ابن تيمية ظهر بين أهل الشرق الذين يشتغلون بالشخصيات ويفضلون بأقل شيء ويتبعون العامة في الافكار لذلك عرفت قيمة لوتر ولم تعرف قيمة ابن تيمية

ليس لنا نية في المعادلة والترجيح بين تلك الافكار (وفي الاصل محاكمتها) فنحن ما قيدنا في الحجة الا الذي سمعناه من الافكار سواء كانت خطأ أو صوابا والميدان واسع للذين يريدون البحث والانتقاد ولا يعوز أحداً قلة الكلام .

ومع ذلك نجب الاشارة الى ان كل عمل بين الاوربيين يكون في أيدي أربابه وفي الشرقيين على عكس ذلك ، فلاهم ينالون فضيلة اختيار ما هم مستعدون له من الاعمال ولا هم يغوطون الاعمال بارباب المستعدين لها الا على سبيل الندور ، فالعملة يزاحمون العلماء الكبار ويشاركونهم في الاعمال الخاصة بهم ، والجزارون يتكلمون في وظائف المهندسين . اه